مناهج التحليل النقدي للخطاب

تحرير

روث فوداك ميشيل ماير

ترجمة

حسام أحمد فرج عزة شبل محمد

مراجعة وتقديم

عماد عبد اللطيف

2088

سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين 10

المركز القومي للترجمة

مناهج التحليل النقدي للخطاب

تحرير

روث فوداك ميشيل ماير

كتاب «مناهج التحليل النقدي للخطاب» يعتبر مدخلاً شاملاً ودقيقًا وحديثًا للتحليل النقدي للخطاب، يفيد الباحثين الجدد والمخضرمين على حد السواء.

وقد تم تحديث هذه الطبعة الجديدة بالكامل، وتضمنت مقدمة تصور سياق تطور المقاربات المختلفة للتحليل النقدي للخطاب، وفصلين جديدين عن «الفاعلين الاجتماعيين» واستخدام علم لغة المدونات فى التحليل النقدي للخطاب.

قدم المحرران إسهام الخبراء في هذا المجال. ففى كل فصل نجد مقاربة للمتخصص مدعمة بالأمثلة، وتأتى كل مقاربة للكشف عن أدوات وإجراءات مختلفة في تحليل كثير من الأنواع والنصوص المكتوبة حول عديد من الموضوعات؛ مثل الاحتباس الحراري، والقيادة الإدارية، والعولمة.

وبذلك يكون الكتاب مرجعًا مهما للطلاب والباحثين في مجال اللغويات، وعلم الاجتماع، والسياسة، ودراسات الإعلام، ودراسات إدارة الأعمال، وعلم النفس، والمهتمين بالاتجاهات البينية في التعامل مع المشكلات الاجتماعية.

10

تصميم الغلاف: لمين كشك

مناهج التحليل النقدي للخطاب

تحريـــــــر: روث فـــــــــــــــوداك

ميـــــــــشيل مـــــــــاير

ترجمـــــــــة: حـــــسام أحمـــــد فـــــرج

عـــــزة شـــــبل محمـــــد

مراجعة وتقديم: عمـــــاد عبـــــد اللطيـــــف

2014

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

روث فوداك، ميشيل ماير

مناهج التحليل النقدي للخطاب/ تحرير: روث فوداك وميشيل ماير، ترجمة: حسام أحمد فرج، عزة شبل محمد ؛ مراجعة وتقديم: عماد عبد اللطيف.
ط ١ – القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٤
٤١٢ ص ، ٢٤ سم
١ – اللغة – علم – تاريخ ونقد
(أ) فوداك، روث (محرر)
(ب) ماير، ميشيل (محرر مشارك)
(ج) فرج، حسام أحمد (مترجم)
(د) محمد، عزة شبل (مترجم مشارك)
(هـ) عبد اللطيف، عماد (مراجع ومقدم)
(و) العنوان ٤٠١,٤١

رقم الإيداع ٤٠٧٩ / ٢٠١٢

الترقيم الدولي: I.S.B.N – 978 - 977- 704 - 978- 8

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

المحتويات

تقديم المراجع: التحليل النقدي للخطاب: من السياق الغربي إلى السياق العربي 7

شكر وعرفان 15

١- التحليل النقدي للخطاب: التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية، بقلم روث فوداك وميشيل ماير 17

٢- الجوانب النظرية والمنهجية في التحليل النقدي للخطاب وتحليل التصرفات لدى فوكوه، بقلم: سيجفريد ياجر وفلورينتاين ماير 79

٣- دراسات الخطاب النقدي: المقاربة المعرفية-الاجتماعية، بقلم: تون أ. فان دايك 137

٤- المقاربة التاريخية للخطاب، بقلم: مارتن رايزيجل وروث فوداك 181

٥- فحوص وتوازنات: كيف تضيف المدونات اللغوية إلى التحليل النقدي للخطاب، بقلم: جيرلند ماوتنر 261

٦- الخطاب باعتباره إعادة تشكيل سياق الممارسة الاجتماعية: دليل إرشادي، بقلم: ثيو فان ليفن 307

٧- مقاربة جدلية- علائقية للتحليل النقدي للخطاب في البحث الاجتماعي، بقلم: نورمان فيركلف 337

- مسرد المصطلحات 381

تقديم المراجع
التحليل النقدي للخطاب
من السياق الغربي إلى السياق العربي

منذ تسعينيات القرن العشرين ظهر التحليل النقدي للخطاب – Critical Discourse Analysis بوصفه مدرسة في تحليل الخطاب في الأوساط الأكاديمية في أوروبا الغربية، ومع نهاية القرن كان يمثل أحد أكثر توجهات تحليل الخطاب استقطابًا للباحثين[1].

يحدد فان دايك – أحد أبرز مؤسسي هذه المدرسة – موضوع التحليل النقدي للخطاب بأنه "دراسة الكيفية التي يقوم بها النص والكلام بتقنين وإنتاج ومقاومة اعتداءات السلطة الاجتماعية وهيمنتها ولا مساواتها"، وأن المحلل الناقد للخطاب يسعى إلى فهم اللامساواة الاجتماعية والكشف عنها تمهيدًا لمقاومتها، ومن ثمَّ فإن التحليل النقدي للخطاب له توجه عام هدفه توعية البشر بالتأثيرات المتبادلة بين اللغة والبنى الاجتماعية، تلك التأثيرات التي لا يعيها البشر غالبًا[2].

أما نورمان فيركلف – المؤسس الأبرز للمدرسة – فيقدم تفصيلاً أكبر لأهداف التحليل النقدي للخطاب، ففي مقدمة كتابه التأسيسي "اللغة والسلطة" يحدد أهداف الكتاب في هدفين: الأول، هو المساعدة في التصدي للتجاهل الشائع لأهمية اللغة في إنتاج علاقات السلطة وترسيخها، أما الثاني، فهو المساعدة في زيادة الوعي بالكيفية التي تسهم بها اللغة في إنجاز هيمنة بعض البشر على بعض، وهو ما يمكّن من مساعدة البشر على إدراك المدى الذي تعتمد فيه لغتهم الخاصة على

المسلمات الشائعة، والطرق التي يمكن لعلاقات السلطة أن تشكّل بواسطتها هذه المسلمات الشائعة. ويرى فيركلف أن الوعي الذي يحققه الاطلاع على نماذج من استخدام اللغة أداةً للقهر والهيمنة يمكن أن يكون حافزًا على المقاومة والتغيير. وهو، وإن كان يثق في قدرة البشر على الخلاص من الهيمنة التي يمارسها بشر آخرون، فإنه يربط هذه القدرة بتطور وعي نقدي بهذه الهيمنة وأوضاعها. ويتحقق الوعي عن طريق التحليل النقدي للظواهر اللغوية والسيميوطيقية للخطاب؛ مثل المفردات والنحو والعلاقات النصية، واللون والصورة...إلخ. ومن ثمّ، ينخرط المحللون الناقدون للخطاب في تحليلات تفصيلية لهذه العناصر، ويقومون بشكل مستمر بتأويلات تربطها بعلاقات السلطة في المجتمع(٣).

تتعدد المقاربات التي تعمل في إطار التحليل النقدي للخطاب، بحسب ما تكشف في فصول هذا الكتاب؛ لكنها تشترك في المنطلق اللغوي لتحليلاتها. وذلك استنادًا إلى أن اللغة مجلىً للسلطة. وربما كان هذا الفهم العام للعلاقة بين السلطة والخطاب جزءًا من المشترك العام بين ممارسي التحليل النقدي للخطاب. ولا يُعد الاختلاف في الأسس النظرية التباين الوحيد بين هذه المقاربات، إذ ثمة اختلاف في إجراءات التحليل، وآخر في الظواهر المدروسة. فعلى الرغم من أن هذه المقاربات تتفق في اتخاذ اللغة والظواهر السيميوطيقية موضوعًا لدراستها، فإنها تختلف – إلى حد كبير – في تحديدها للظواهر التي يراها كل توجه جديرة بالدرس. وهو ما قد يرجع إلى الاختلاف في التقييم النسبي لقدرة كل ظاهرة على الإفصاح والكشف عن السلطة التي يمارسها منتج اللغة ويبتغيها.

ربما كان مشروع التحليل النقدي للخطاب هو الأهم على الساحة الأكاديمية من بين الحقول المعرفية المعنية بدراسة العلاقة بين الخطاب والسلطة. وربما يرجع ذلك – إضافة إلى قوة الجذب التي ينطوي عليها نبل الغاية التي يعلن أنها

مقصده، وهي تداعب حلمًا رومانسيًا لدى كثير من البشر يتمثل في تقوية المستضعفين وإضعاف المتجبرين- إلى قدرته على تقديم نفسه بوصفه ممارسة أكاديمية، تُمكِّن الباحثين، الذين ينتمون أساسًا إلى حقل الدراسات اللغوية، من مناوشة الواقع بمشكلاته وتحدياته. وربما تكمن إحدى نقاط الضعف الحقيقية في التحليل النقدي للخطاب بوصفه ممارسةً مُقاومةً للخطاب في إمكانية تحوله إلى مجرد ممارسة أكاديمية، أي عزله بشكل أو بآخر عن الواقع الاجتماعي.

يُعزِّز هذا التخوف أمرين: أولهما، أن التوجه التربوي الموازي للتحليل النقدي للخطاب لم ينطور بنفس الوتيرة التي تطورت بها إجراءات التحليل التي يستخدمها، والأسس النظرية التي يتأسس عليها. وثانيهما، أن التحليل النقدي للخطاب ربما لم يتجاوز طموحه عتبة الوعي بالسلطة التي يمارسها أو ينتجها أو يُجليها الخطاب. هذه العتبة رغم أهميتها القصوى مواجهة بتحديات ثلاث: الأول، أنها محصورة بدرجة أساسية في السياق الأكاديمي. والثاني، أنها غالبا ما تكون قوة مقاومة بالقوة وليست بالفعل، إذ إن مرحلة ما بعد تعرية الخطاب السلطوي والوعي به لا تكاد تدرس في التحليل النقدي للخطاب؛ فهناك اهتمام محدود للغاية بالطرق الخطابية التي يمكن من خلالها مقاومة الخطابات السلطوية[٤] لكن التحدي الثالث هو الأهم؛ ويتمثل في أن هذه التعرية تستند إلى قدرات تأويلية، أي أن ثمة طابعًا شبه ذاتي يطبع النتائج التي يتوصل لها المحللون الناقدون للخطاب. وأظن أن هذا الطابع راجع إلى إغفال التلقي الفعلي للخطابات من قبل جمهور معين في سياق محدد، والاكتفاء بدراسة ما يمكن أن تعنيه هذه الخطابات أو تفعله أو تكونه أو تحيل إليه في فضاء تأويلي لا تاريخي. وربما أدى هذا الإغفال إلى التشكك في بعض النتائج التي يمكن أن يتوصل إليها المحللون الناقدون للخطاب، حين يغفلون التلقي الفعلي للخطابات التي يدرسونها. وذلك على نحو ما أوضح بجلاء إنش.جي.ويدوسون في عدد من أعماله المهمة[٥].

كذلك ينطوي التحليل النقدي للخطاب على مخاطر ناتجة عن مركزيته الأوروبية والإنجليزية تحديدًا. فمعظم الكتابات حوله تتصل بالسياق الأوروبي وتتخذ من الإنجليزية لغة لها. تتجلى خطورة هذه المركزية في نزوع التحليل النقدي للخطاب إلى التعامل مع أسسه النظرية، ومنظومة إجراءاته بوصفها ذاتًا طبيعة كونية، قابلة للتطبيق والاستخدام في تحليل كل اللغات والثقافات. وهو أمر غير حقيقي. وينطوي على هيمنة معرفية وثقافية تمثل بذاتها نقيضًا لدعاوى التحليل النقدي للخطاب.

يضاف إلى ذلك أن لكل محلل من محللي الخطاب أيديولوجيته الخاصة التي يسعى لتكريسها والدفاع عنها – بوعي أو غير وعي– بواسطة استخدام أدوات التحليل النقدي للخطاب ذاته. وهو ما يعني أن الشعارات النبيلة التي يرفعها ممارسوه مقيّدة ومحكومة بانتماءاتهم الأيديولوجية. وربما يدفعنا ذلك إلى الحذر من بعض الممارسات التي تُغلفها مثل هذه الشعارات. وسوف أستشهد على أهمية هذا الحذر بحادثة كنت طرفًا وشاهدًا عليها.

أثناء دراستي في قسم علم اللغة بجامعة لانكستر الإنجليزية – حيث يوجد بعض أهم مؤسسي التحليل النقدي للخطاب، مثل نورمان فيركلف وبول شيلتون وروث فوداك المحررة الرئيسية لهذا الكتاب – وقع جدال ساخن ومشحون على البريد الإلكتروني الخاص بجماعة بحث تحمل اسم 'اللغة والأيديولوجيا والسلطة Language، Ideology & Power'، وهي جماعة تضم كل المحللين الناقدين للخطاب في جامعة لانكستر وكثيرًا من محلليه خارجها. وذلك بسبب توزيعي بعض رسوم الكاريكاتير التي رسمها الفنان البرازيلي كارلوس لاتوف Carlus Latuff ليفضح الهلوكوست الذي مارسه جيش الاحتلال الإسرائيلي على الفلسطينيين في حربها الأخيرة على غزة. وفور توزيع الرسوم تلقيت رسائل من

روث فوداك وباحثين آخرين تتهم الرسومات بمعاداة السامية؛ على الرغم من أن الرسومات لم تتعرض لأي شيء عدا تصوير وحشية الجرائم العسكرية الإسرائيلية ضد المدنيين في غزة، وصمت العالم المشين تجاهها. وقد استمر الجدل على شكل عشرات الرسائل الإلكترونية لمدة ثلاثة أيام، واشترك فيه اثنا عشر باحثًا وباحثة في التحليل النقدي للخطاب من تسع دول، وظلت التهمة معلقة.

وقد تأكدت لدي إثر هذه الواقعة ملاحظاتي السابقة الخاصة بكون بعض كتابات التحليل النقدي للخطاب تنطوي على تحيزات وتمييزات واعية أو غير واعية، وتتأثر بشدة بالأيديولوجيات الخاصة بالباحثين أنفسهم. فهؤلاء الذين هاجموا الرسومات الكاريكاتورية بدعوى أنها معادية للسامية كانوا يخدمون – بقصد أو بغير قصد– مصلحة إسرائيل في أن يتم الربط بين انتقاد ممارساتها بوصفها دولة احتلال وبين معاداة اليهود؛ التي لا يختلف أحد على أنها عمل عنصري مشين. وبذلك يتم تقييد وإجهاض أي نقد لممارسات دولة الاحتلال الإسرائيلية، التي تنتهك حقوق الإنسان والقانون الدولي.

أما هؤلاء الذين رأوا في الرسومات عملاً نبيلاً يعري جرائم وحشية ضد الإنسانية فقد كانوا يدافعون عن حق نقد وفضح هذه الجرائم؛ أيًا كان مرتكبها أو المتستر عليها. وما بين أولئك وهؤلاء كانت المصالح الشخصية للبعض تدفعه لتسخير أدوات التحليل، للخلوص إلى أحكام يثق هو نفسه في فسادها، وهشاشتها. فقد ادّعى أحد الباحثين في رسالة إلكترونية أن الرسومات تنطوي على معاداة للسامية، ذاكرًا بعض العبارات المشوّشة، والحجج الهشة تأكيدًا لرأيه. وحين جمعنا لقاء طويل بعد ذلك بشهور، اعترف أنه مقتنع بأن الرسومات التي قمتُ بتوزيعها ليس فيها ما يُسيء مطلقًا إلى اليهود بأي شكل كان، لكنه أراد أن يُظهر دعمه لرأي مشرفته على رسالته الجامعية في الجامعة التي كنا ندرس بها في موقفها المنتقد للرسومات، حتى ينال استحسانها!!

وهكذا فإنه على الرغم من التوصية التي تقدم للباحثين بخصوص تأملهم لذاتهم self-reflection أثناء ممارساتهم الأكاديمية، فإن ارتباط التحليل النقدي للخطاب بقضايا سياسية واجتماعية حساسة، والتأكيد المستمر على ضرورة أن يكون للباحث موقف إزاء القضايا التي يطرحها الخطاب المدروس يؤدي في بعض الأحيان إلى إضفاء طابع أيديولوجي واضح على بعض الدراسات؛ خاصة لدى الباحثين المبتدئين. وتتزايد خطورة هذا التحيز حين نضع في الاعتبار أن العلم ذاته ليس بمعزل عن تأثير علاقات السلطة والهيمنة.

وخلاصة الأمر أنه من الضروري تحليل الخطاب "العلمي" الذي يقدمه دارسو التحليل النقدي للخطاب تحليلاً نقديا. كما يقع على عاتق الباحثين العرب المهتمين بالتحليل النقدي للخطاب مهام أخرى لعل أهمها تطوير إجراءات أكثر ملاءمة للغة العربية التي تشكل المادة الأساسية للخطابات العربية، وللمجتمع العربي الذي يمثل السياق الحاضن لهذه الخطابات.

د/ عماد عبد اللطيف

القاهرة، سبتمبر ٢٠١١

هوامش

(١) انظر، Blommaert، J. and C. Bulcaen. 2000. "Critical Discourse Analysis". *Annual Review of Anthropology* 29، 447-66، ص ٤٥٥.

(٢) انظر، Van Dijk، T. (2003). "Critical Discourse Analysis" in D. Schiffrin D.، D.، Tannen and H.E. Hamilton (eds.) *The Handbook of Discourse Analysis*، Blackwell Publisher، ص ٣٥٢.

(٣) انظر، Fairclough، N. (1989). Language and Power. London; New York: Longman. ص ١-٣.

(٤) انظر، Abdul-Latif، E. (2011). Interdiscursivity between political and religious discourses in a speech by Sadat: Combining CDA and addressee rhetoric. *Journal of Language and Politics* 10:1، pp 50–67. Amsterdam: John Benjamins. ص ٥٤.

(٥) انظر على سبيل المثال: Widdowson، H.G. (2004). *Text، Context، Pretext: Critical Issues in Discourse Analysis*. USA، Uk، Australia: Blackwell Publishing.

شكر وعرفان

لم يكن لهذا الكتاب أن يُكتب دون عون العديد من الناس، ونود التعبير عن شكرنا لهم جميعًا.

بدأت جهودنا لتوفير كتاب شامل للقراء يقدم مختلف مقاربات التحليل النقدي للخطاب في شكل ندوة حول التحليل النقدي للخطاب بقسم اللغويات (جامعة فيينا) عام ١٩٩٩، ونحن نقدر المناقشة والعمل مع الطلاب، الذي أتاح حافزًا مهمًا لخطتنا الرامية لنشر الطبعة الأولى.

ونحن نقدر التعاون مع مؤلفي المشاركات الخاصة بهذا الكتاب: نورمان فيركلف، وسيجفريد ييجر، وفلورنتين ماير، وجيرلند ماوتنر، ومارتن رايزيجل، وتيون فان دايك، وثيو فان لوفن. فهؤلاء لم يكتبوا أبوابًا موجّهة ومهمة فحسب، ولكنهم قدموها في التوقيت الصحيح، وكانوا غاية في الانفتاح في تقبل نقدنا وتعليقاتنا ومقترحاتنا.

وكان لا غنى عن براين بينر في إعادة وضع بعض مقطوعاتنا الأكثر اختصاصًا باللغة غير الإنجليزية بشكل مقبول، وقد أسهم كل من أناهيد أغامانوكجان وأولا أرنست وإديث فازيكاس في تهذيب النص وصقله بشكل أساسي. وكانت كلير ليبسكومب من ساج Sage محررة داعمة للغاية، فقد قدمت إسهامًا غاية في الإيجابية بالنسبة للنتائج النهائية. وأخيرًا وليس آخر، نشكر محكمي النص الستة المجهولين الذين ساعدوا في تخطي بعض التجاوزات في الطبعة الأولى، لكنهم ليسوا مسئولين عنها في الطبعة الثانية.